

تفسير البحر المحيط

@ 145 فبالإضافة إلى الرب ، وإضافته لكاف الخطاب أمان له صلى الله عليه وسلم) ؛ وإن العذاب لواقع هو بمن كذابه ، ولو وقع على الشدة ، وهو أدل عليها من لكائن . ألا ترى إلى قوله : { إِذَا وَفَعَلَتِ الْوَأَقِعَةُ } ، وقوله : { وَهَوَّوْا وَافِيعُ بِهِمْ } ، كأنه مهياً في مكان مرتفع فيقع على من حل به ؟ وعن جبير بن مطعم : قدمت المدينة لأسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم) في أسارى بدر ، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب : { وَالطُّورِ } إلى { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ } ، فكأنما صدع قلبي ، فأسلمت خوفاً من نزول العذاب ، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب . وقرأ زيد بن علي : واقع بغير لام . قال قتادة : يريد عذاب الآخرة للكفار ، أي لواقع بالكفار .

ومن غريب ما يحكى أن شخصاً رأى في النوم في كفه مكتوباً خمس واوات ، فعبر له بخير ، فسأل ابن سيرين ، فقال : تهياً لما لا يسر ، فقال له : من أين أخذت هذا ؟ فقال : من قوله تعالى : { وَالطُّورِ } إلى { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ } ، فما مضى يومان أو ثلاثة حتى أحيط بذلك الشخص . وانتصب يوم بدافع ، قاله الحوفي ، وقال مكي : لا يعمل فيه واقع ، ولم يذكر دليل المنع . وقيل : هو منصوب بقوله : { لَوَاقِعٌ } ، وينبغي أن يكون { مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ } على هذا جملة اعتراض بين العامل والمعمول . قال ابن عباس : { تَمُّورٌ } : تضطرب . وقال أيضاً : تشقق . وقال الضحاك : يموج بعضها في بعض . وقال مجاهد : تدور . { وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا } ، هذا في أول الأمر ، ثم تنسف حتى تصير آخراً { كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ } . { فَوَيْلٌ } : عطف على جملة تتضمن ربط المعنى وتأكيده ، والخوض : التخبط في الباطل ، وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل . { يَوْمَ يَدْعُؤْنَ } ، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيدي الكفار إلى أعناقهم ، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ، ويدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم وزجاً في أقفيتهم . وقرأ علي وأبو رجاء والسلمي وزيد بن علي : يدعون ، بسكون الدال وفتح العين : من الدعاء ، أي يقال لهم : هلموا إلى النار ، وادخلوها { دَعَاءًا } : مدعوعين ، يقال لهم : { هَذَا هِـ النَّارُ } . لما قيل لهم ذلك ، وقفوا بعد ذلك على الجهتين اللتين يمكن دخول الشك في أنها النار ، وهي : إما أن يكون سحر يلبس ذات المرئي ، وإما أن يكون في نظر الناظر اختلال ، فأمرهم بصليها على جهة التقريع . ثم قيل لهم على قطع رجائهم : { فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ ؕ أَعْلَيْكُمْ أَمْ ؕ } : عذابكم حتم ، فسواء صبركم وجزعكم لا بد من

جزاء أعمالكم ، قاله ابن عطية . .

وقال الزمخشري : { أَفَسِحْرٌ هَذَا } ، يعني كنتم تقولون للوحي : هذا سحر . . {
أَفَسِحْرٌ هَذَا } ، يريد : أهذا المصداق أيضاً سحر ؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى . {
أَمْ أَنْتُمْ لَا تُدْصِرُونَ } : كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ، يعني : أم أنتم عمي عن
المخبر عنه ، كما كنتم عمياً عن الخبر ؟ وهذا تقرير وتهكم . فإن قلت : لم علل استواء
الصبر وعدمه بقوله : { إِنْ زَمَّ مَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ؟ قلت : لأن
الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة ، وبأن يجازى عليه الصابر جزاء
الخير . فأما الصبر على العذاب ، الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة ، فلا مزية له
على الجزع . انتهى . وسحر : خبر مقدم ، وهذا : مبتدأ ، وسواء : مبتدأ ، والخبر محذوف ،
أي الصبر والجزع . وقال أبو البقاء : خبر مبتدأ محذوف ، أي صبركم وتركه سواء . .
ولما ذكر حال الكفار ، ذكر حال المؤمنين ، ليقع الترهيب والترغيب ، وهو إخبار عن ما
يؤول إليه حال المؤمنين ، أخبروا بذلك . ويجوز أن يكون من جملة القول للكفار ، إذ ذلك
زيادة في غمهم وتنكيد لهم ، والأول أظهر . وقرأ الجمهور : فكهين ، نصباً على الحال ،
والخبر في { جَنَاتٍ وَنَعِيمٍ } . وقرأ خالد : بالرفع على أنه خبر إن ، وفي جنات
متعلق به . ومن أجاز تعداد الخبر ، أجاز أن يكونا خبرين . { وَوَقَاهُمْ } معطوف على {
فِي جَنَاتٍ } ، إذ المعنى : استقروا في جنات ، أو على { ءَاتَاهُمْ } ، وما مصدرية ،
أي فكهين بإيتائهم ربهم النعيم ووقايتهم عذاب الجحيم . وجوز أن تكون الواو في ووقاهم
واو الحال ، ومن شرط قد في الماضي ، قال : هي هنا مضمرة ، أي وقد وقاهم . وقرأ أبو
حيوة : ووقاهم ، بتشديد القاف . { كَلُوا° وَاشْرَبُوا° } على إضمار القول : أي يقال
لهم : { هَنِيئًا° } . قال الزمخشري : أكلاً° وشرباً° هنيئاً° ، أو طعاماً° وشرباً° هنيئاً°
، وهو الذي لا تنغيص فيه . ويجوز أن يكون مثله في قوله :